مجلة منتدى الأستاذ

المجلد: 20 العدد: 01 السنة: ديسمبر 2024 الصفحات 583- 593

الأسس الفلسفية للأنثروبولوجيا البنيوية

Philosophical foundations of structural anthropology

أحمد بوغفالة[1]، *

[1] جامعة محمد بن أحمد، وهران 2 (الجزائر)،)، boughoufàla.ahmed@univ-oran2.dz

تاريخ الإرسال: 21/ 06/ 2022 تاريخ القبول: 25/ 04/ 2024

الملخص:

تعتبر الأنثروبولوجيا البنيوية كفلسفة جديدة هدفها الكشف عن حقيقة الوجود الإنساني بحيث اعتمدت على المفاهيم الفلسفية التي شكلت حجر الزاوية في تاريخ الفكر الفلسفي الغربي والمتمثلة في اللغة والأسطورة والتاريخ والعقل والطبيعة والثقافة والإنسان، وذلك من خلال الأبحاث والأعمال الأنثروبولوجية لممثلها كلود ليفي ستروس التي تعكس رؤيته الفلسفية محاولا تأسيس الأنثروبولوجيا وفق قواعد جديدة ذات طابع فلسفي وعقلي بهدف تحقيق فلسفة إنسانية عقلية، وهذا ما سنحاول التطرق إليه من خلال هذا المقال للكشف عن الأسس الفلسفية للأنثروبولوجيا البنيوية انطلاقا من النصوص الموجودة في ثنايا مؤلفات كلود ليفي ستروس الأنثروبولوجية.

الكلمات المفتاحية:

الأنثروبولوجيا؛

الفلسفة؛

البنيوية؛

الإنسان ؛

الشك الأنثروبولوجي؛

ABSTRACT:

Recent studies have shown that structural anthropology is regarded as a new philosophy aimed at uncovering the truth of human existence. It relies on philosophical concepts that have served as cornerstones in the history of Western philosophical thought, including language, myth, history, reason, nature, culture, and humanity. This is evident in the research and anthropological works of its key proponent, Claude Lévi-Strauss, which reflect his philosophical vision as he seeks to establish anthropology on new philosophical and rational foundations, to achieve a rational human philosophy. This research paper will explore these philosophical foundations of structural anthropology, drawing on the texts found within Claude Lévi-Strauss's anthropological works.

Keywords:
Anthropology, Philosophy, Structuralism, Human, Anthropological Skepticism,

* أحمد بوغفالة

1- مقدمة:

يجمع الفلاسفة والأنثروبولوجيون على أن كلود ليفي ستروس هو أحد أبرز البنيويين، وأول من طبقها في الأنثروبولوجيا من أجل دراسة الظواهر الاجتماعية والثقافية، وإخضاعها للمنهج البنيوي بغية تحقيق التماثل بين االلغة والانثروبولوجيا، إلا أن هناك بعض المفكرين يؤكدون على أن أعمال ليفي ستروس وأبحاثه الأنثروبولوجية تعكس رؤيته الفلسفية، والدليل على ذلك هو ماتطرق إليه في مؤلفاته معتمدا على المفاهيم الفلسفية التي شكلت حجر الزاوية في تاريخ الفكر الفلسفي الغربي، والمتمثلة في العقل والتاريخ والإنسان والثقافة والطبيعة واللغة والاسطورة، والتي أصبحت الأساس في أبحاثه الأنثروبولوجية محاولا جعل الأنثروبولوجيا مجالا للبحث الفلسفي والعقلي بهدف الكشف عن الوجود الإنساني وتحقيق فلسفة إنسانية عقلانية بحيث يقول ليفي ستروس " لقد نشأت كفيلسوف، ومثل الكثيرين في فرنسا، أتيت إلى علم الإجتماع والإثنولوجيا من الفلسفة، وقد وقر في ذهني أن أجيب عن أسئلة فلسفية"[1]، بهدف تحطيم تلك البداهات التي طالما سيطرت على الفكر الفلسفي الغربي والتي أصبحت تكتسب الطابع المطلق معتمدا على تكوينه الفلسفي للكشف عن حقيقة الإنسان الذي أصبح بمثابة السؤال المركزي للفلسفة المعاصرة، لأن ليفي ستروس في دراسته للمجتمعات البدائية هو بصدد التفلسف، لهذا وجب علينا أن نطرح بعض التساؤلات التي تساعدنا في فهم الجانب الفلسفي من الفكر الستروسي من أجل الحفر والتنقيب عن الأسس الفلسفية للأنثروبولوجيا البنيوية، وعليه نقول ماهي الأسس الفلسفية التي بنيت عليها الأنثروبولوجيا البنيوية الستراوسية؟ وماهي أهم مبادئها؟ وكيف تطورت الفلسفة البنيوية الأنثروبولوجية من خلال ممثلها كلود ليفي ستروس؟ ولماذا انتقل من الفلسفة إلى الأنثروبولوجيا؟.

2-الأسس الفلسفية للأنثروبولوجيا البنيوية عند كلود ليفي ستروس:

يعتبر ليفي ستروس من الفلاسفة الأنثروبولوجيين الذين تأثروا بالفلسفة الألمانية المتمثلة في الكانطية التي ساعدته في الكشف عن طبيعة الوجود الإنساني، بحيث عمل ليفي ستروس على" الانتقال بالبحث الكانطي إلى المضمار الاثنولوجي"[2]، والماركسية التي كانت بمثابة الشلال الخصب لأبحاث ليفي ستروس عن المجتمعات وتاريخها في مجال الأنثروبولوجيا الذي أرشده اليه أستاذه " بول نيزان " وأقنعه بدراسة الأنثروبولوجيا التي "ترمي إلى معرفة شاملة للإنسان"[3]، محاولا الكشف عن حقيقة الوجود الإنساني، وذلك من خلال معرفة ثقافة المجتمعات البدائية والمتمثلة في العادات والتقاليد والمعتقدات للوصول إلى حقائق وتصورات جديدة عن الإنسان البدائي، إلا أن هناك اختلاف بين الفلاسفة والمفكرين حول حقيقة الإتجاه البنيوي باعتباره حركة علمية، وهذا الاعتراف يأتي من شيخ البنيويين ليفي ستروس الذي يرى بأن " البنيوية ليست بأي حال من الأحوال فلسفة، وإنما هي مجرد منهج للبحث العلمي"[4]، وهذا ما يتضح من خلال مؤلفه الانثروبولوجيا البنيوية الذي يهدف من خلاله تطبيق المنهج البنيوي في دراسته للظواهر الاجتماعية، أي بمعنى محاولة تحقيق التزاوج والتماثل بين اللغة والأنثروبولوجيا، لكن رغم الجهد العلمي الذي بذله ليفي ستروس في مجال الأنثروبولوجيا محاولا تطبيق الأنموذج اللغوي في دراسته للظواهر الثقافية

بغية تحقيق الصـرامة العلمية في العلوم الإنسـانية، لأن الأنثروبولوجيا البنيوية تهدف إلى إنشـاء علم جديد خاص بالرمز، إلا أننا نجد هناك فلاسـفة آخرين يؤكدون على الطابع الفلسـفي لأبحاث ليفي سـتروس التي كانت محل دراسة ومناقشة من قبل الفيلسوف "بول ريكور " الذي يؤكد على أن " الفلسفة البنيوية محكوم عليها، كما تبدو لي، أن تتأرجح بين عدد من المشـاريع الفلسـفية، وقد نقول أحيانا إنها كانطية من غير ذات متعالية، لا بل إنها شكلانية مطلقة، تؤسس التلازم نفسه للطبيعة وللثقافة "[5]، وهذا يؤكد على أن الفيلسوف الأنثروبولوجي ليفي ستروس كانت لديه مطامح فلسفية تبدو واضحة من خلال مؤلفاته الأنثروبولوجيا البنيوية والفكر البري والعرق والتاريخ التي يهدف من خلالها التطرق إلى جملة من المسائل العلمية والفلسفية بهدف التعبير عن رؤيته الفلسفية البنيوية في الأنثروبولوجيا، وهذا ماتؤكد عليه "ساخاروفا"في قولها "وعلى الرغم من أن البنيوية ليست فلسفة غير أنها تناولت بعض المشكلات ذات الطبيعة الفلسفية بسبب التطور المعاصر للعلوم"[6]، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على التكوين الفلسفي الذي انعكس على أعماله الأنثروبولوجية من أجل البحث عن حقائق الأشياء الخاصة بحياة الإنسان الثقافية، لأن ليفي ستروس يحاول " الكشف عن نظام معين للأشياء، أو بصدد إضفاء النظام على هذه الأشياء، ومن هنا نجد أن الأساطير تحدثنا عن نظام العالم، وهي تمكننا من أن نتساءل عما يمكن أن يتضمنه نظام العالم بالنسبة للإنسان وبالتالي نقترب من التفلسف"[7].

1.2–البنية كمقولة فلسفية:

لا أحد ينكر ما قدمته اللسانيات البنيوية لليفي ستروس الذي استعار منها الأنموذج اللغوي وقام بتطبيقه في مجال الأنثروبولوجيا من أجل الكشـف عن البنى الكامنة والمتوارية وراء الظواهر، باعتبارها ذات طبيعة عقلية لاشعورية رمزية، وذلك مايؤكد عليه "ليفي ستروس" في قوله "إن مفهوم البنية لايستند إلى الواقع التجريبي، بل إلى النماذج الموضوعة بمقتضى هذا الواقع، وهكذا يظهر الاختلاف بين مفهومين متجاورين جدا بحيث وقع الالتباس بينهما غالبا، أقصـد مفهوم البنية الاجتماعية ومفهوم العلاقات الاجتماعية، إن العلاقات الاجتماعية هي المادة الأولى المستعملة في صياغة نماذج توضح البنية الاجتماعية. إذا لايمكن بأية حال إرجاع هذه البنية إلى مجمل العلاقات الاجتماعية التي تتسنى ملاحظتها في مجتمع معين"[8].

يسعى ليفي ستروس إلى تبيان مفهوم البنية وأهمية العلاقات الاجتماعية في تكوين النماذج التي من خلالها نصل إلى البنية التي لا تستند إلى الواقع التجريبي، وإنما يتم الكشف عنها انطلاقا من ذلك الواقع، لهذا نجد ليفي ستروس يؤسس لمشروعه الفلسفي الأنثروبولوجي منهجا بنيويا في دراسة الظواهر انطلاقا من مقولة البنية، وهكذا فإنه يسـعى دائما في أبحاثه الأنثروبولوجية الكشـف عن تلك البنية الاجتماعية بالاعتماد على النماذج التي يتم إنشاؤها من طرف الأنثروبولوجي الذي يسعى للكشف عن تلك العقلانية، لأن ليفي ستروس " يريد بناء العلم الاجتماعي على أسس منهجية متينة، ولذلك فإنه يأخذ في اعتباره مبدأ أساسيا مؤداه أن مفهوم البنية الاجتماعية لاينصب على الواقع التجريبي، بل على النماذج التي يتم إنشاؤها انطلاقا من ذلك الواقع "[9].

يحاول ليفي ستروس تأسيس الأنثروبولوجيا وفق قواعد جديدة تجعلها تبتعد عن التقليد الأنثروبولوجي البنائي الوظيفي بحيث تصبح البنية منهجا لدراسة الظواهر الأنثروبولوجية، كما أن البنية لا تنصب على الواقع التجريبي بل النماذج التي يتم إنشاؤها انطلاقا من الواقع بهدف إحداث تغير في مجال العلوم الإنسانية وجعل الأنثروبولوجيا ذات علاقة بالفلسفة، وهذا مايؤكد عليه كليفرد غيرتز " أنه، أي ليفي ستروس، قد حقق ما كنت أرغب في حدوثه في مجال الأنثروبولوجيا، وذلك بجعله الأنثروبولوجيا شأنا عقليا وفلسفيا، فهو قداستطاع ربطها بالإتجاهات الفكرية العامة والسائدة في العالم، أي أنه قد أخرجها من الميدان الإمبريقي الضيق "[10].

الواقع أن ليفي ستروس إستطاع أن يحقق تقدما وتطورا في المجال الأنثروبولوجي الذي يعكس رؤيته الفلسفية محاولا تجاوز التيار الأنثروبولوجي الأنجلوساكسوني بهدف الكشف عن حقيقة العقل البشري لا الحقيقة الخاصة بتنظيم مجتمع معين من خلال دراسته للشعوب البدائية.

2.2–الشك الأنثروبولوجي:

إن المتأمل في أعمال وأبحاث ليفي ستروس التي احتل من خلالها مكانة بارزة في الحياة الفكرية الفرنسية محاولا جعل الأنثروبولوجيا مجالا للبحث الفلسفي، وذلك بإعادة النظر في جملة من المفاهيم التي شكلت أساس الفكر الغربي الفلسفي، معتمدا على تكوينه الفلسفي للإجابة عن تلك التساؤلات الفلسفية التي لها علاقة بالأنثروبولوجيا والتي نجدها في ثنايا مؤلفاته كالأنثروبولوجيا البنيوية ومداريات حزينة والعرق والتاريخ والفكر المتوحش، والتي تعبر عن الجهد العلمي والفلسفي الذي بذله ليفي ستروس في دراسته للمجتمعات البدائية للكشف عن حقيقة الانسان انطلاقا من علم الأنثروبولوجيا معتمدا على الشك كعامل أساسي في تعامله مع آراء وأفكار الفلاسفة والأنثروبولوجيين بحيث يقول ليفي ستروس " إن البحث الميداني الذي تبدأ به كل مهنة أثنولوجية، هو في الواقع مصدر الشك ومغذيه، وذلك موقف فلسفي على وجه الخصوص، وهذا " الشك الأنثروبولوجي " لا يقوم فقط على العلم بأننا لانعرف شيئا بل أيضا على تعريض ما كنا نعتقد أننا نعرفه وتعريض جهله ذاته. .. " [11].

يؤكد ليفي ستروس على أن الشك هو أساس الأبحاث الانثروبولوجية والفلسفية، باعتباره المحرك الرئيسي والحقيقي في عملية البحث من أجل الكشف عن تلك الآراء الزائفة التي تفتقد لليقين، لأنه اعتمد على الشك الأنثروبولوجي كمنهج لاكتساب المعرفة محاولا السير في اتجاه المدرسة العقلانية الديكارتية،انطلاقا من مجال اختصاصه المتمثل في الأنثروبولوجيا التي تقدم العون المعرفي وتساهم في تطوير الفكر الفلسفي، لأن "اهتمام ستروس المتأخر بالبحث الأنثروبولوجي لاينبغي أن يعد تحولا عن الأصل الفلسفي الذي بدأ منه، ذلك لأن هذا الميدان بالذات يمكن أن يقدم مادة خصبة للتفكير الفلسفي"[12]، لأن ليفي ستروس يسعى إلى جعل الأنثروبولوجيا البنيوية ذات طابع فلسفي، نظرا لاعتمادها على أهم المبادئ الفلسفية، وهذا يتضح من خلال مشروعه الفلسفي الأنثروبولوجي الذي يهدف من خلاله إلى إحداث قطيعة مع تلك التصورات والأفكار الفلسفية السابقة من أجل الكشف عن آليات عمل العقل البشري لأن"مفهوم البنية، في أيامنا هذه، يحمل فلسفة تمثلت في طبعتها الدوغمائية، نقطة الوصول لفلسفة موت الإنسان، للفلسفة التي بلا ذات"[13].

فالأنثروبولوجيا البنيوية أصبحت وسيلة لتأمل مستمر ومتواصل تجاه الإنسان، بحيث تجعله دائما في حالة شك للبحث عن حقيقة الأشياء المتعلقة بالوجود الإنساني وعلاقته بالواقع الاجتماعي الذي لم تستطيع الوجودية الإمساك به، وهذا ما أدى بالانتقال من مجال البحث الفلسفي الذي يهتم بالذات إلى البنيوية التي تضع البنية كأساس للبحث الفلسفي، لهذا يقول ليفي ستروس " ثم إننا مسوقون، من جهة أخرى، إلى تصور البنيات الاجتماعية كمواضيع مستقلة عن شعور الناس بها (مع أنها تنظم وجودهم) وأنها يمكن أن تكون مختلفة عن الصورة التي يكونونها عنها كاختلاف الواقع المادي عن تصورنا المحسوس له والفرضيات التي نضعها بصدده"[14].

3.2–اللاوعي والوظيفة الرمزية:

يحاول ليفي ستروس أن يبين لنا أهمية البنية باعتبارها ذات رؤية فلسفية ومستقلة عن شعور الناس، لأنها تتميز بطبيعتها العقلية وتشترط الكلية التي تطمح الأنثروبولوجيا لتحقيقها، لهذا نقول أن ليفي ستروس لاتخلو أبحاثه العلمية في مجال الأنثروبولوجيا من مواقف فلسفية لأن" بحثه في الأنثروبولوجيا لم يكن غاية في ذاته، بل كان وسيلة لغاية معينة هي في صميمها غاية فلسفية"[15]، لأن أبحاثه في المجال الأنثروبولوجي أصبح يغلب عليها الطابع الرمزي، وهنا تكمن أهمية الأنثروبولوجيا في كشفها عن البنية العقلية اللاشعورية الرمزية للأشكال الثقافية " وعلى أي حال فإن اهتمام ليفي ستروس بدراسة الفكر الرمزي والأنساق الرمزية يرجع إلى رغبته في الكشف عن اللاشعور عن طريق تحليل الأبنية التي يعكسها ذلك الفكر نفسه"[16]، وهذا يوضح لنا توظيف ليفي ستروس لمقولة اللاشعور محاولا إدراك التركيب اللاواعي للعقل والكشف عن البنية اللاشعورية للنفس البشرية وذلك في قوله " لقد كان هدفي في كل ما قدمت من أبحاث أن أفهم كيف تعمل النفس البشرية"[17].

الواقع أن ليفي ستروس في حديثه عن النفس البشرية نجده يركز على الجانب اللاشعوري الذي أصبح بمثابة الأساس في مجال البحث الفلسفي في الفكر الغربي المعاصر بحيث نجد الأثر الفرويدي متجذرا لدى الفلاسفة الفرنسيين عامة وليفي ستروس خاصة الذي يتحدث عن أهمية التحليل النفسي في فرنسا مع بداية القرن العشرين، وذلك في مؤلفه مداريات حزينة بحيث أصبح اللاشعور بمثابة حجر الزاوية في أبحاث ليفي ستروس من أجل طرح أفكاره وتصوراته حول الوظيفة الرمزية بحيث يقول "إذا كان النشاط اللاشعوري للفكر يكمن، كما نعتقد، في فرض بعض الأشكال على مضمون ما، وكانت هذه الأشكال واحدة، في الأساس، بالنسبة لجميع الأفكار القديمة والحديثة، البدائية والمتمدنة – كما توضحه دراسة الوظيفة الرمزية، مثلما تظهر في اللغة– فينبغي ويكفي الوصول إلى بنية لاشعورية كامنة في كل نظام عام أو كل عادة، للحصول على مبدأ تفسير صحيح بالنسبة لأنظمة عامة أخرى وعادات أخرى، بشرط المضي في التحليل، بالطبع، إلى بعد كاف"[18].

يرى ليفي ستروس بأن النشاط اللاواعي للعقل في مجال الدراسات الأنثروبولوجية يختلف عن اللاشعور عند فرويد في مجال الدراسات النفسية، بحيث يسعى للكشف عن البنية الرمزية اللاواعية للحياة الاجتماعية، لأن العقل محكوم بقوانين عقلية لاشعورية، لأنه واحد سواء عند البدائي أو المتحضر، وفي كل زمان ومكان محاولا الكشف عن تلك البنى اللاواعية والخفية التي تشكل الوعي الاجتماعي في المجتمع البدائي، وهذا إن دل على شيء فإنما

يدل على أن ليفي ستروس يحاول إعطاء رؤية جديدة للعلوم الإنسانية والاجتماعية التي أصبحت بمثابة الإنجاز الذى حققه ليفي ستروس وذلك " في عزل نظام مستقل ذاتيا عن الواقع، أي النظام الرمزي، الذي يوجد مستقلا عن الأشياء التي يرمز اليها، وعن البشر الرامزين، فالمعاني الثقافية كامنة في الأنظمة الرمزية وهذه المعاني مستقلة عن العالم الخارجي، وسابقة عليه من ناحية، والذوات الإنسانية من ناحية أخرى، وهكذا فإن للعالم وجودا موضوعيا فقط في الأنظمة الرمزية التي تمثله "[19]، وهذا يؤكد على أن ليفي ستروس يريد الإمساك بالمعنى الذي يعبر عن حقيقة الوجود الإنساني الذي ينتمي إلى عالم غني بالمعاني والدلالات الثقافية المستقلة عنه، والكامنة في الأنظمة الرمزية، لأن الأنثروبولوجيا البنيوية ذات طابع رمزي يسعى الأنثروبولوجي للكشف عنه من خلال دراسته للظواهر الثقافية كالأسطورة والفن والفولكلور، وفي هذا الصدد يقول ليفي ستروس " لابد لنا من أن نضع دائما في اعتبارنا، سواء كنا بصدد دراسة لغوية أم بصدد دراسة اجتماعية، أننا في أعمق أعماق الرمزية"[20]، وهذا دليل على الأثر الذي تركته اللسانيات البنيوية في الفكر الستراوسي محاولا الكشف عن الطابع الرمزي واللاواعي للظواهر الاجتماعية والثقافية، لأن أنساق القرابة كاللغة عبارة عن أنساق رمزية للتواصل الاجتماعي، وتأثره كذلك بالتحليل النفسي لأن " العنصر الأساسي في النظرية الفرويدية هو تبيانها آثار اللاوعي الدينامية، أي الطريقة التي تنبثق بها السيرورات المكبوتة في اللاوعي وقد تحولت وارتدت أشكالا تتراوح بين العصاب وزلات اللسان والأحلام"[21].

الواقع أن ليفي ستروس يؤكد على اللاوعي منتقلا بالبحث الفلسفي القائم على الوعي إلى مقولة اللاوعي التي أصبحت تشكل أساس الخطاب الفلسفي المعاصر معتمدا على فكرة الرمزية اللاشعورية، لأن الأنثروبولوجيا البنيوية تهدف إلى دراسة الطبيعة الرمزية للظواهر الاجتماعية والثقافية ،وذلك بالكشف عن الجانب اللاواعي الذي يعتبر القاسم المشترك بين جميع الناس، لأن "الهدف الأخير من العلوم الإنسانية لايكمن في تكوين الإنسان، ولكن في تذويبه، وفي إعادة دمج الثقافة في الطبيعة، وأخيرا في دمج الحياة في مجموع شروطها الفيزيائية والكيميائية"[22].

إذن ليفي ستروس في دراسته الانثروبولوجية يعتمد على اللاوعي كمقولة فلسفية بهدف الكشف عن البنية الخفية اللاشعورية للحياة الاجتماعية والثقافية، وذلك بالقضاء على ذات الإنسان ووعيه باعتباره العدو السري للعلوم الإنسانية للوصول إلى الموضوعية العلمية محاولا إعطاءها بعدا علميا يتماشى مع التطور العلمي، وهكذا فإن ليفي ستروس يشق طريقه بالاعتماد على المقولات اللاواعية للفكر من أجل دمج الثقافة في الطبيعة " ولذا يصح القول بالأحرى إنه لاوعي كانتي وليس لاوعي فرويدي، أي إنه لاوعي مقولي تصنيفي وتوليفي، وهذا نظام مكتمل، أو هو كمالية النظام، ولكنه يكون كمن يصار إلى تجاهل نفسه، وإني أقول لاوعي كانتي، ولكن مراعاة فقط لنظامه، ذلك لأن المقصود بالأحرى هو نسق مقولي تصنيفي من غير مرجع إلى ذات مفكرة"[23].

يؤكد هذا على التقارب والتشابه بين الفكر الستروسي والفلسفة النقدية الكانطية الذي يتجلى في فهمهما للإنسان وكيفية عمل العقل البشري، وفي السياق نفسه يقول عبد الرزاق الدواي" إن دلالة اللاشعور في

الأنثروبولوجيا البنيوية، لاتحيل إلى الكبت ولا إلى أي واقع غريزي محدد، إنما تعني لاشعورا مقوليا يتصف أساسا بقدرة على التركيب والتأليف، إنه نمط من البنية الصورية التي تضم المبادئ القبلية للتعقل والتفكير والمعرفة "[24].

4.2–المنهج الفلسفي للأنثروبولوجيا:

يحاول ليفي ستروس الكشف عن البنية ذات طبيعة لاشعورية رمزية وتنتمي إلى العالم الرمزي، والتي جعلت أبحاثه وأعماله الأنثروبولوجية تتجه نحو البحث الفلسفي العقلاني الذي يدعو إلى نوع من المعقولية الفوقية خاصة وأنه يعمل على تطوير نظرية البنى الفوقية لماركس، لأن ماوراء العقلاني تبرز حقيقة الأشياء التي تشكل الجانب الخفي واللاشعوري في الإنسان، مؤكدا على أنه من أجل فهم الواقع، يجب التخلي عن الواقع المعيش، أي بمعنى فهم الواقع يقتضي إرجاعه إلى واقع آخر، وهذا ما يؤكد على الطابع الفلسفي لأبحاث ليفي ستروس الأنثروبولوجية التي يسعى من خلالها تأسيس فكر فلسفي إنساني جديد أو "فلسفة إنسانية جديدة" لأن " البنيوية لاتهتم إلا بما هو واقعي، حقيقي، وتستبعد كل ماهو معيش il faut écarter le vécu ,pour atteindre le reel هذه العبارة البسيطة تضع على المحك تراثا فلسفيا عريقا يمتد من العقلانية الديكارتية حتى المثالية الألمانية بشقيها التصوري عند كانط والمطلق عند هيجل"[25]، لأن ليفي ستروس يريد البحث عن حقيقة الأشياء انطلاقا من الواقع المستتر والخفي، لأن الواقع الحقيقي ليس هو الواقع السطحي الخارجي متأثرا بالفكر الماركسي الذي ساعده في معرفة الفكر الفلسفي ابتداءً من كانط إلى هيجل متسائلا عن حقيقة تلك المفاهيم والتصورات الفلسفية التي سيطرت على الفكر الفلسفي الغربي محاولا تجاوز التقليد الفلسفي الممتد حتى ديكارت من أجل الكشف عن حقيقة الواقع بحيث " لم تكن الفلسفة إذا في خدمة وعون البحث العلمي، بل نوعا من التأمل الجمالي للشعور، بنفسه ولنفسه، ولقد رأيناها تنشئ عبر العصور، بناءات جريئة وخفيفة أكثر فأكثر، وتحل مشكلات التوازن، أوالطاقة العقلية، وتبتدع تدقيقات منطقية"[26].

إذن ليفي ستروس يحاول تقديم رؤيته حول الفلسفة السائدة التي كانت بعيدة عن الواقع وأنها بمثابة تأمل جمالي للوعي، وأنها مجرد تمارين عقلية خالية من المعنى نظرا لقصور المناهج المتبعة في الدراسات الفلسفية كالمنهج التاريخي الذي يهتم بتطور الأفكار عبر التاريخ، والمنهج الجدلي الهيجلي القائم على أساس الرأي ونقيضه ثم التركيب بينهما، لهذا حاول ليفي ستروس من خلال دراسته الأنثروبولوجية باتباع منهج آخر يتميز بطابعه الفلسفي بحيث يقول ليفي ستروس في كتابه الأنثروبولوجيا البنيوية "وخلافا لما يوحي به الظاهر نرى أن الأثنولوجيا إنما تتميز من علم الإجتماع بمنهجها الذي يتصف بأنه فلسفي على وجه الدقة"[27].

مما سبق يتضح بأن ليفي ستروس يهدف إلى تأسيس فلسفة ذات طابع علمي، لأن طموحه هو حل القضايا الفلسفية والمنهجية التي عجزت عنها الفلسفات السابقة، محاولا إعطاءها بعدا علميا يتماشى مع التطور العلمي المعاصر، لأن الفكر الفلسفي يتجه نحو العلم مستفيدا من الدعم المنهجي والمعرفي من أجل تدعيم استنتاجاته، خاصة وأن الاتجاه البنيوي الستروسي ظهر في مرحلة كانت فيها الفلسفة العلمية الباشلارية موجودة على الساحة الفكرية التي قدمت مفهوما جديدا للفلسفة وهو مفهوم العقل العلمي الجديد بوضعه مبدأ أساسيا

للبحث الفلسفي المعاصر، وهذا ما انعكس على الفكر الستراوسي الذي حاول تأسيس فكره الفلسفي على أساس علمي ومنهجي انطلاقا من مجال الأنثروبولوجيا لإعادة بناء فلسفة إنسانية جديدة هدفها الكشف عن المعنى الحقيقي للوجود الإنساني، وذلك بالعودة إلى الفكر الأنثروبولوجي التنويري محاولا إتباع الآراء والأفكار الفلسفية لأستاذه جون جاك روسو و الذي يعتبره ليفي ستروس مؤسس علم الأنثروبولوجيا ومتأثرا بالأنموذج البنيوي اللغوي لصديقه رومان ياكوبسون، وهذا ما انعكس على تكوينه الفلسفي وعلى منهجه في مجال البحث الأنثروبولوجي الذي تلقاه مؤسس الأنثروبولوجيا البنيوية في مساره العلمي .

5.2–ليفي ستراوس بين الفلسفة والأنثروبولوجيا:

لقد عرفت الدراسات الأنثروبولوجية لكلود ليفي ستروس تداخلا بين ما هو علمي وفلسفي، وهذا ما يتضح من خلال الدراسات التي أقيمت حول الفكر الستراوسي الذي عمل على توجيه جملة من الانتقادات للآراء والتصورات الفلسفية القائمة محاولا نقدها انطلاقا من إقصائه ونقده للذات الإنسانية وذلك باعتبار الوعي العدو الخفي للإنسان بحيث أصبح يشكل عائقا لتحقيق الصرامة العلمية، لأن أهمية الأنثروبولوجيا تكمن في الكشف عن البنية الرمزية اللاشعورية للظواهر الاجتماعية، ولأن الفكر الفلسفي الستروسي قائم على أساس التأمل والتفكير العقلاني محاولا تجاوز مجال الأنثروبولوجيا الضيق إلى مجال البحث في العلوم الإنسانية والفلسفية لأن ليفي ستراس" صبغ دراسته الاجتماعية بصبغة فلسفية لاتخطئها العين، وحول المؤثرات غير الفلسفية إلى الإتجاه الفلسفي، وكان هذا الطابع الذي يميزه عن سائر علماء الأنثروبولوجيا هو مصدر قوته وعمقه وطرافته"[28]، وهذا يؤكد على انعكاس التكوين الفلسفي الذي تلقاه مؤسس الأنثروبولوجيا البنيوية من خلال مساره العلمي على منهجه في مجال البحث الأنثروبولوجي، مؤكدا على النزعة العقلية البنائية في تحليله للظواهر الاجتماعية والثقافية التي جاءت كرد فعل على التيار التجريبي الأنجلوساكسوني لأن ليفي ستروس يعتبر " من أكبر علماء الأنثروبولوجيا ليس في فرنسا وحدها ولكن في العالم أجمع فإنه يقف من النزعة الأمبريقية موقف عداء صريح ويرى أنها تحد من انطلاق الفكر وتضع قيودا على قدرة الفكر الإنساني على التحليق إلى مستويات عالية من التجريد"[29]، وكل هذا بفضل الجهد العلمي والفلسفي الذي بذله من أجل تأسيس مشروعه الفلسفي الأنثروبولوجي متبعا الأنموذج اللغوي البنيوي في دراسته للظواهرالإجتماعية والأنثروبولوجية كالقرابة والأسطورة بهدف الكشف عن بنيتها، بحيث أصبحت البنية من المفاهيم الفلسفية التي تشكل الخطاب الفلسفي المعاصر محاولا تأسيس الأنثروبولوجيا وفق قواعد جديدة، معتمدا على تكوينه الفلسفي والأنثروبولوجي بغية الإجابة عن تساؤلاته الفلسفية محاولا جعل الأنثروبولوجيا البنيوية كفلسفة جديدة هدفها الكشف عن حقيقة الوجود الإنساني.

3– خاتمة:

يتميز المشروع الفلسفي الأنثروبولوجي بتعدد مصادر المعرفة لدى كلود ليفي ستروس الذي جمع بين مجالات علمية وفلسفية وأنثروبولوجية والتي تتمثل في الفلسفة الألمانية واللسانيات البنيوية والأنثروبولوجيا محاولا تأسيس وبناء نظرية عامة في الأنثروبولوجيا ذات طابع فلسفي وعقلي وتأسيس

فلسفة ذات طابع علمي، لأن هدفه يتمثل في مناقشة القضايا الفلسفية والمنهجية التي عجزت عنها الفلسفات السابقة انطلاقا من مجال اختصاصه الأنثروبولوجي، وذلك لإعادة بناء فلسفة إنسانية جديدة من أجل الكشف عن المعنى الحقيقي للوجود الإنساني،فالأنثروبولوجيا البنيوية أصبحت وسيلة لتأمل مستمر ومتواصل إتجاه الإنسان، بحيث تجعله دائما في حالة شك للبحث عن حقيقة الأشياء المتعلقة بالوجود الإنساني وعلاقته بالواقع الاجتماعي الذي لم تستطيع الوجودية الإمساك به، وهذا ما أدى بالانتقال من مجال البحث الفلسفي الذي يهتم بالذات إلى البنيوية التي تضع البنية كأساس للبحث الفلسفي. ويهدف كلود ليفي ستراوس إلى إعادة النظر في تلك المقولات الفلسفية التي تبناها فلاسفة الفكر الحداثي باعتبارها حقائق مطلقة محاولا الكشف عن حقيقتها وذلك بممارسة النقد و التمحيص واستخدام المناهج العلمية والمفاهيم الفلسفية من أجل القضاء على تلك النزعات الاعتقادية المغلقة لبلوغ الحقائق سواء كانت علمية أو فلسفية، لأن الفكر الفلسفي الستراوسي قائم على أساس التأمل والتفكير العقلاني محاولا تجاوز مجال الأنثروبولوجيا الضيق إلى مجال البحث في العلوم الإنسانية والفلسفية، وتأسيس فكره الفلسفي على أساس علمي انطلاقا من مجال الأنثروبولوجيا لإعادة بناء فلسفة إنسانية جديدة، وذلك بالعودة إلى الفكر الأنثروبولوجي الفلسفي التنويري من أجل تعرية الخطاب الفلسفي الأحادي،كما أن الدراسات الأنثروبولوجية لكلود ليفي ستروس عرفت تداخلا بين ماهو علمي وفلسفي والذي يتضح من خلال الدراسات التي أقيمت حول الفكر الستراوسي الأنثروبولوجي بالإضافة إلى اعتماده على الشك الأنثروبولوجي في أبحاثه وأعماله الأنثروبولوجية وعلى الوظيفة الرمزية و اللاوعي كمقولة فلسفية بهدف الكشف عن البنية الخفية اللاشعورية للحياة الاجتماعية والثقافية محاولا تبيان أهمية البنية باعتبارها ذات رؤية فلسفية ومستقلة عن شعور الناس، لأنها تتميز بطبيعتها العقلية وتشترط الكلية التي تطمح الأنثروبولوجيا لتحقيقها.

المصادر والمراجع:

- ليفي ستروس، كلود، (1977)،الأنثروبولوجيا البنيوية، تر: مصطفى صالح،(د ط)، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا.
- ليفي ستروس، كلود،(1983)، الأنثروبولوجيا البنيوية، ج 2، تر: مصطفى صالح،(د ط) منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا.
- ليفي ستروس، كلود،(2003)، مداريات حزينة، تر: محمد صبح،ط01، دار كنعان للدراسات والنشر والخدمات الاعلامية، دمشق، سوريا.
- إبراهيم، زكريا، (1990)،مشكلة البنية، (د ط)،مكتبة مصر، القاهرة.
- أبو زيد، أحمد، (1995)،المدخل إلى البنائية، (د ط)،المركز القومي للبحوث الإجتماعية والجنائية، القاهرة.

- جاكسون، ليونارد،(2008)، بؤس البنيوية، تر: ثائر ديب،ط02، دارالفرقد، دمشق، سوريا.
- جعفر عبد الوهاب، البنيوية والوجودية،(د ط)، دار المعرفة الجامعية، مصر.
- الدواي، عبد الرزاق، (2000)، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر،(د ط)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- ريكور، بول،(2005)، صراع التأويلات دراسات هيرمينوطيقية، تر: منذر عياشي،ط01، دار الكتاب الجديد المتحدة.
- زكريا، فؤاد،(2007)، افاق الفلسفة، ط01،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، مصر.
- ساخاروفا،(1994)، من فلسفة الوجود إلى البنيوية، تر: أحمد برقاوي، ط01،داردمشق، سوريا.
- غارودي، روجيه، (1979)،البنيوية فلسفة موت الإنسان، تر: جورج طرابيشي،ط01، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- كلارك، سايمون،(2015)، أسس البنيوية، تر: سعيد العليمي، ط01،المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر.
- مهيبل، عمر،(2010)، البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، ط03،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

الهوامش والإحالات:

[1]– كلارك، سايمون، أسس البنيوية، تر: سعيد العليمي ، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، سنة2015، ص 35

[2]– غارودي، روجيه، البنيوية فلسفة موت الإنسان، تر:جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان، ط1، سنة1979، ص 28.

[3]. ليفي ستروس، كلود ، الأنثروبولوجيا البنيوية ، تر:مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، سوريا، (ب ط) سنة 1977، ص 408.

[4]– ابراهيم، زكريا، مشكلة البنية، مكتبة مصر، القاهرة، (ب ط)، سنة 1990، ص 21

[5]– ريكور، بول، صراع التأويلات دراسات هيرمينوطيقية، تر: منذر عياشي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط01، سنة 2005، ص 87

[6]– ساخاروفا، من فلسفة الوجود إلى البنيوية، تر:أحمد برقاوي، داردمشق، سوريا، ط1، سنة 1984، ص 166

[7]– جعفر، عبد الوهاب، البنيوية والوجودية، دار المعرفة الجامعية، مصر، (ب ط) ، ص ص 117. 118

[8]– ليفي ستروس، كلود، الأنثروبولوجيا البنيوية، ج1، المصدر السابق، ص 327.

[9]– ابراهيم، زكريا، مشكلة البنية، المرجع السابق، ص 74

[10]– نقلا عن: يتيم، عبدالله، عبد الرحمن، كلود ليفي ستروس قراءة في الفكر الانثروبولوجي المعاصر، بيت القران، المنامة، البحرين، ط01، سنة 1998، ص 39

[11]– ليفي ستروس، كلود، الأنثروبولوجيا البنيوية، ج2، تر:مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، (ب ط)، سنة 1983 ، ص 43.

[12]– زكريا، فؤاد، أفاق الفلسفة ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية ، مصر، ط1، سنة 2007 ، ص267 .

[13]– غارودي، روجي، المرجع السابق، ص 13

[14]– ليفي ستروس، كلود، الأنثروبولوجيا البنيوية، ج1، المصدر السابق، ص 148

[15]– زكريا، فؤاد، المرجع السابق، ص 268

[16]– ابوزيد، أحمد، المدخل إلى البنائية، المرجع السابق، ص 122

[17]– جعفر، عبد الوهاب، البنيوية والوجودية، المرجع السابق، ص 124

[18]– ليفي ستروس، كلود، الأنثروبولوجية البنيوية، ج2، المصدر السابق، ص 40

[19]– كلارك، سايمون، اسس البنيوية، المرجع السابق، ص 10

[20]– ابراهيم، زكريا، مشكلة البنية، المرجع السابق، ص 83

[21]– جاكسون، ليونارد، بؤس البنيوية، المرجع السابق، ص 26.

[22]– ريكور، بول، صراع التأويلات، المرجع السابق، ص 89.

[23]– ريكور، بول، صراع التأويلات، المرجع السابق، ص 66

[24]– الدواي، عبد الرزاق، موت الانسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، المرجع السابق، ص 90

[25]– مهيبل، عمر، البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، المرجع السابق، ص 25

[26]– ليفي ستروس، كلود، مداريات حزينة، المصدر السابق، ص 57

[27]– ليفي ستروس، كلود، الأنثروبولوجيا البنيوية، ج2، المصدر السابق، ص 43

[28]– زكريا، فؤاد، آفاق الفلسفة، المرجع السابق، ص 263

[29]– ابوزيد، أحمد، المدخل إلى البنائية، المرجع السابق، ص ص 31. 32